

عقيدة المرشد المعين: الخصائص والمميزات

كـهـ الدكتور عبد الحاكم حمادي

أستاذ بجامعة غرداية، وأحد طلبة الشيخ 



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً
مقدمة:

تتكون هذه المداخلة من مطلبين: الأول بعنوان: مباحث عقيدة المرشد المعين، والمطلب الثاني بعنوان: منهج المرشد المعين في ضبط العقيدة يتقدمهما مدخل يحدد مضمون مصطلح الخصائص والمميزات هي كالتالي:

مدخل: بين الخصائص والمميزات

عنوان المداخلة يتضمن مصطلحين: الخصائص، المميزات. يتعين قبل الدخول في الموضوع تحديدهما وبيان الفرق بينهما:

فالمميزات جمع مميزة وهي: الصفة التي تميز الشيء أي تفصله عن غيره، وتعزله، والمميز من الأشياء ما لا يختلط بغيره من الأشياء والأفكار⁽¹⁾، بمعنى: إن الفكرة المتميزة هي الفكرة التي يدرك الذهن مضمونها وعناصرها إدراكاً بيناً وهي غير الفكرة الواضحة التي تكون كافية للدلالة على الشيء أو لمعرفته، وعليه فالفكرة المتميزة يتحتم أن تكون واضحة بخلاف الفكرة الواضحة فلا يلزم أن تكون متميزة.

(1) جميل صليبا، المعجم الفلسفي، بيروت: دار الكتاب اللبناني، 1979م، ج: 02، ص: 321

أما الخصائص: جمع خصيصة، وهي الصفة التي تميز الشيء وتحدده⁽¹⁾، وهي بخلاف المميزات أي الصفات التي تفصل الشيء عن غيره وتعزله. نخلص من هذا المدخل أن الخصائص تتعلق بذات الشيء، أما المميزات فإنها تتعلق بالخارج عن الشيء، كما تكون مقارنة بين شيئين. وعليه يمكن القول على وجه الاجمال: إن خصائص ومميزات عقيدة المرشد المعين تتمثل فيما يلي:

أولاً: الآيات المخصصة للعقيدة في المرشد المعين تمثل إحدى عشر في المائة من مجموع آياته.

ثانياً: اقتصر على معرفة صفات الباري جل وعلا التي يستدل لها بالبراهين العقلية، وكذا صفات الرسل عليهم السلام.

ثالثاً: تناولت صفة السمع والبصر والكلام من السمعيات دون غيرها مما ورد في الوحي.

رابعاً: عقيدة المرشد المعين تنتمي إلى عقيدة الإمام الأشعري لكن بطريقة سهلة ميسورة تتناسب والقدرات العقلية للأمة.

في المطلبين التاليين تفصيل لهذا الاجمال تكون الخصائص موضوعاً للمطلب الأول، والمميزات موضوعاً للمطلب الثاني.

المطلب الأول: مباحث عقيدة المرشد المعين

يتناول هذا المطلب في الفرع الأول منه موضوع عقيدة المرشد المعين. وفي الفرع الثاني مسائل عقيدة المرشد المعين وفي الفرع الثالث: البرهان كأساس لعقيدة المرشد المعين يتقدمهم مدخل: في بيان أول واجب على المكلف.

(1) مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مصر: دار المعارف، 1972، ج: 01، ص: 238

مدخل: في بيان أول واجب على المكلف

ينص الشيخ ابن عاشر رحمته الله انه لا يتناول جميع مباحث العقيدة وإنما يقتصر على تناول الصفات المتعلقة بالباري تعالى والصفات المتعلقة بالرسل عليهم الصلاة والسلام التي تدل عليها البراهين العقلية. بقوله: أول واجب على من كلفا... ممكنا من نظر أن يعرفا... الله والرسل بالصفات... مما عليها نصب الآيات..

وهذا الحجم من المعارف يتناسب وقدرات عقل الأمي الذي يوجه إليه هذا النظم، ذلك إن قاعدة الايمان في نظر ابن عاشر رحمته الله تركز على العقل والاستدلال وهو ما ذهب إليه الإمام السنوسي رحمته الله في شرح العقيدة الوسطى: من أن الإيمان أصله المعارف العقلية، والأدلة البرهانية، فلا يكون عن تقليد وإنما يكون عن نظر سديد⁽¹⁾.

وعليه فالمطلوب حسب ابن عاشر في عقائد الإيمان هو الجزم المطابق عن دليل، وهو بهذا يتوافق وما ذهب إليه الإمام مالك رحمته الله على ما حكاه ابن القصار⁽²⁾.

الفرع الأول: موضوع عقيدة المرشد المعين

يتمحور موضوع عقيدة المرشد المعين على ما يجب على العقل أن يثبته للباري جل وعلا من الصفات وما يستحيله وما يجوزه، والممكنات من حيث دلالتها على وجود صانعها. والسمعيات من حيث اعتقادها والجزم بها. وكذا ما يثبت وما يستحيل وما يجوز من الصفات في حق الرسل عليهم الصلاة والسلام.

(1) السنوسي، ابو عبد الله محمد بن يوسف، شرح العقيدة الوسطى، ط: 01، تونس: مطبعة التقدم

الوطنية بدون تاريخ، ص: 72

(2) نقلا عن عlish محمد، القول الوافي السديد في شرح عقيدة التوحيد، بيروت: دار العلم

للملايين، بدون تاريخ، ص: 08

الفرع الثاني: مسائل عقيدة المرشد المعين

مسائل العقيدة في المرشد المعين تتمثل في قضاياها الباحثة في الواجبات والجائزات والمستحيلات باعتبارها أقسام الحكم العقلي، التقسيم الذي يعتبر العمدة للمقالات المتأخرة في المدرسة الأشعرية⁽¹⁾، بخلاف ما ذهب إليه إمام الحرمين من أن هذه الأقسام هي العقل نفسه⁽²⁾.

الفرع الثالث: البرهان القاطع كأساس لعقيدة المرشد المعين

البرهان دليل مركب من مقدمات قطعية ضرورية في نفسها أو منتهية في الاستدلال عليها إلى علوم ضرورية⁽³⁾ البرهان القاطع أحد أقسام الحجة العقلية يتركب من مقدمتين الأولى ضرورية ابتداء والأخرى ضرورية انتهاء، على أساسه تقدم عقيدة المرشد المعين العلم بالله ﷻ والعلم برسله عليهم السلام كأول ما يجب على المكلف معرفته.

المطلب الثاني: منهج المرشد المعين في ضبط العقيدة

من خلال كتاب أم القواعد وما انطوت عليه من العقائد نستبين مفردات هذا المطلب في فرعين يساعدانا على فهم منهج ابن عاشر في ضبط العقيدة. الأول منهما في بيان أنواع الصفات المتعلقة بالحق تبارك وتعالى. والفرع الثاني يتناول قابلية العقيدة للاستدلال.

(1) جمال الدين بوقلي حسن، الامام ابن يوسف السنوسي وعلم التوحيد، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1985م، ص: 155

(2) الدسوقي محمد، حاشية الدسوقي على شرح ام البراهين، مصر: المطبعة اليمينية 1382هـ ص: 44

(3) جمال الدين بوقلي حسن، الامام ابن يوسف السنوسي وعلم التوحيد المرجع نفسه ص: 159

الفرع الأول: أنواع الصفات المتعلقة بالحق تبارك وتعالى

الصفات المتعلقة بالحق تبارك وتعالى إما واجبات أو مستحيلات أو جائزات

أولاً: بالنسبة لضبط الواجبات

فإن المرشد المعين يقسمها الى:

أ - صفات نفسية: أي ما يعبر به عن الذات العلية فهي صفة ترجع الى حقيقة موصوفها ولا تسلسل لها وهي صفة الوجود⁽¹⁾.

ب - صفات سلبية: وهي صفات لا وجود لمعانيها في الخارج يرجع معناها الى سلب نقص مستحيل في حق الباري جل وعلا وهي خمس صفات: القدم، البقاء، والمخالفة للحوادث، الغنى، والوحدانية.

ج - صفات المعاني: وهي عبارة عن صفات وجودية أي موجودة في نفسها قائمة بالذات العلية، وهي سبع صفات: القدرة، الارادة، العلم، الحياة، والسمع، والبصر، والكلام.

أما الصفات المعنوية فلم يشر إليها الشيخ باعتبارها صفات لازمة لصفات المعاني، أي أنها أحوال تقوم بموجود ليست موجودة في نفسها ولا معدومة⁽²⁾.

ثانياً بالنسبة لضبط المستحيل والجائز من الصفات

معنى المستحيل في رأى ابن عاشر هو: أن يرفع العقل عن الخالق كل ما يضاد الصفات الواجبة له، وهو هنا يأخذ بالمعنى اللغوي الواسع للضد؛ لأن

(1) الدسوقي محمد، حاشية الدسوقي على شرح ام البراهين، مرجع سابق، ص: 66/65

(2) الجويني، أبو المعالي، الشامل في أصول الدين، تح: علي سامي النشار، الإسكندرية: منشأة المعارف، 1969م ص: 157 (يقول الجويني: إن صفة النفس إنما تتميز عن صفة المعنى بأن النفس لا تعقل دون صفة النفس ولا تعقل الصفة دون النفس وصفة المعنى يجوز تقدير النفس دونها عقلاً انظر الشامل: ص: 157)

الصفات المستحيلة التي ذكرها بعضها نقيض، وبعضها مساو للنقيض، وبعضها
أخص من النقيض⁽¹⁾.

ومعنى الجائز في شأن الباري جل وعلا هو: فعل كل ممكن أو تركه في
العدم

وبضبطه يبرز للمكلف آخر الأقسام التي تشكل العلم بالله ﷻ ويكون من
ناحية أخرى قد مهد لطرق أبواب العلم بالرسول وهي إحدى مسائل الجائز في
حقه تعالى⁽²⁾.

ثالثا ضبط صفات الرسل عليهم الصلاة والسلام

الشيخ ابن عاشر رحمته الله لا يهتم هنا يشرح معنى الرسول ولا الفرق بينه وبين
النبي، لأن الأهم بالنسبة إليه هو: بيان ما يجب على المكلف معرفته في حق
الرسل من الصفات الواجبة والمستحيلة والجائزة.

وحصر الواجبات في الصدق، والأمانة، والتبليغ، مستدلا للصدق بدليل
المعجزة النازلة منزلة: صدق عبدي في كل ما يبلغ عني⁽³⁾.

واستدل لصفة الأمانة والتبليغ بدليل السمع على خلاف الصدق، ذلك لو
أنهم أخلوا بالأمانة أو التبليغ لانقلب فعلهم طاعة في حقهم؛ لأننا أمرنا بالاعتداء
بهم في أقوالهم وأفعالهم والله لا يأمر بالمنهي عنه.

(1) مثلا الحدوث ليس نقيضا للقدم وإنما نقيضه لا قدم فكل من الحدوث والقدم هو على العموم
مساو لنقيض الآخر؛ لأن نقيض القدم لا قدم وهو مساو للحدوث، ونقيض الحدوث لا حدوث
وهو مساو للقدم، انظر: البيجوري ابراهيم، حاشية البيجوري على متن السنوسية، ط: 01، مصر:
مطبعة ابن شقرون، 1952م، ص25

(2) يدخل في قسم الجائز عدة مسائل أهمها: مسألة الصلاح والأصلح، ومسألة رؤية الباري ﷻ
ومسألة بعث الرسل. انظر: السنوسي، صغرى الصغرى مصر: المطبعة اليمينية، 1924م ص: 23

(3) السنوسي عبد الله بن محمد بن يوسف، العقيدة الصغرى التي المعروفة بأسماء البراهين ضمن
مجموع مهمات المتون، لأحمد الطوخى مصر: مطبعة جامع الأزهر، 1299هـ، ص: 07

كما ذكر أن المستحيل من الصفات في حقهم هي ما كان ضد الصفات الواجبة لهم.

وأن المكلف يجب عليه أن يعرف أنه يجوز في حقهم من الأعراض البشرية التي لا تؤدي إلى نقص في مراتبهم العلية، وهو بهذا يرد على اليهود وعلى المؤرخين الذين يعتقدون اتصاف الانبياء بنقيصة المعصية والمكروه. بهذا يصل بالمكلف الى إثبات الإيمان بالرسول عموماً بمعرفة ما يجب في حقهم وما يستحيل وما يجوز.

الفرع الثاني: تصنيف العقيدة من حيث قابليتها للاستدلال

هذا الفرع في نظري نقطة الارتكاز في هذه المداخلة ينه ابن عاشر إلى أن الصفات التي تتوقف عليها دلالة المعجزة يتحتم الاستدلال عليها بالدليل العقلي، وهي: صفة الوجود والقدم والبقاء والبقاء والمخالفة للحوادث والغنى والوحدانية والحياة والإرادة والعلم.

أما ما لا تتوقف عليه دلالة المعجزة كالسمع والبصر والكلام فيتعين الاستدلال عليها بالدليل الشرعي.

بالنسبة للصفات التي لا يرى الاستدلال عليها إلا بالدليل العقلي فإن ابن عاشر يمزج بين استدلالين متداخلين: الاستدلال بحدوث العالم تبع فيه الجمهور من المتكلمين، ذلك في قوله: حاجة كل محدث الصانع... لو حدثت بنفسها الاكوان... لاجتمع التساوي والرجحان

والاستدلال بالإمكان تبع فيه فلاسفة المسلمين أمثال الفارابي وابن سينا ونسبه ابن رشد إلى أبي المعالي الجويني⁽¹⁾ قاصداً به الرد على الفلاسفة بوجه خاص. ذلك في قوله: لو أمكن الفناء لانتفى القدم.. الخ

(1) نقلاً عن: محمود قاسم، مقدمة في نقد مدارس علم الكلام لكتاب مناهج الأدلة لابن رشد، مصر: مكتبة الأنجلو المصرية، 1944م، ص: 15

إننا نراه يذهب الى أن العالم حادث، والحادث ممكن بذاته يستوي عند العقل وجوده وعدمه، فإذا ترجح وجوده تعين أن يكون مرجح، فإن كان محدثه مثله لزم أن يفتقر الى ما افتقر إليه فيلزم الدور أو التسلسل وكل منهما محال فيلزم ثبوت العلم بوه سبحانه قائم بذاته،

وبالحاح منه رحمه الله على لزوم الدور أو التسلسل يساعد عقل المكلف على معرفة الصفات الواجبة في حقه ﷻ النفسية والسلبية والمعاني وهو بهذا يقدم مذهب الاشاعرة عن وعي واقتناع بجمعه الحجب وضبطها وتبسيطها بأسلوب بعيد عن الجدل الممل⁽¹⁾.

وابن عاشر رحمه الله لا يريد أن يثير مشكلة الوجود هل هو عين الذات أم زائد عليها كما هو مقرر في عقد الاشعري قصدا منه أن الامي يكتفي بالاعتقاد أن الله موجود كيفما حصل له بهذا النوع من الاستدلال أو ذاك⁽²⁾.

كما يكتفي باعتقاد صفات المعاني دون أحكامها المعنوية اللازمة لها لأنها فرع عن الاتصاف بها وهو بهذا يرى أن هذا القدر من العلم كاف لمخالفة المعتزلة الذين أنكروا صفات المعاني وأثبتوا الصفات المعنوية.

ويبرهن على وجوب اعتقاد هذه الصفات كلها بدليل واحد يرشد إليه الاشتراك اللازم على نفيتها وهو عدم وجود شيء من العالم،

كما حدد منهجيته رحمه الله بكل وضوح في أن ثبوت الصفات الثلاث السمع والبصر والكلام من النقل ويعطيه الأولوية باعتباره أقوى من الدليل العقلي.

والدليل العقلي الذي يأخذ به هو أن الله سبحانه لو لم يتصف بها للزم ان يتصف بأضدادها وهي نقص والنقص عليه تعالى محال⁽³⁾.

(1) جمال الدين بوقلي حسن، الامام ابن يوسف السنوسي وعلم التوحيد المرجع السابق ص: 224

(2) جمال الدين بوقلي حسن، الامام ابن يوسف السنوسي وعلم التوحيد المرجع السابق ص: 188

(3) عليش محمد، القول الوافي، مرجع سابق، ص: 63

ولكي أوقف القلم عن استرساله في بحث هذه النقطة يحضرني تعليق العلامة أحمد ميارة رحمته الله على أبيات شيخه التي ختمها بقوله: والتال في الست القضايا باطل.. قطعاً مقدم إذا مماثل. قال رحمته الله: ذكر في هذه الأبيات براهين تسع صفات تنع رحمته الله اصطلاح أهل المنطق.. ولو أسقط هذه العبارة المستعملة عند أهل فن لا يخالطه قارئ هذه المنظومة لكان أنسب ولكنه لما كان ينفجر علماً نفعا الله به صار وان تنازل ما استطاع لأنه لا بد من أن تسرق الطباع فهو كما قيل: وكل إناء بما فيه يريش ⁽¹⁾.

الخاتمة

من خصائص عقيدة المرشد المعين خاتمتها التي تدل على أن ابن عاشر رحمته الله لم يجد في الصورة الكلامية للعقيدة سوى الخطوة الأولى للتقرب بها إلى الله تعالى وأن الانقطاع للذكر هو الوجه الثاني المكمل للتوحيد، لذلك يختارها للمكلف بأن يلازمها في كل أحواله.

كما أن خاتمته: وقول لا إله إلا الله... محمد أرسله الإله.. يجمع كل هذه المعاني... كانت لذا علامة الإيمان. هي نفسها ترجمة كتاب أم القواعد وما انطوت عليه من العقائد،

هذا ومن تتبع معنا أسطر هذه المداخلة يحصل لديه بدون شك مجموعة من

النتائج:

إن عقيدة المرشد المعين لم تتناول كل مباحث العقيدة

نعتبر أن ابن عاشر قد نجح في نقل العقيدة الأشعرية إلينا ببراعة في صياغة

مختصرة

إن الاقناع العقلي هو الباب الذي ينفذ منه الإيمان السليم في أغلب حالاته

(1) ميارة، أحمد بن محمد الدر الثمين والمورد المعين شرح المرشد المعين، الدار البيضاء المغرب،

دار المعرفة، بدون تاريخ، ص: 12

من يسعى إلى تجريد العقيدة من براهينها العقلية والنقلية يشلها ويفقد لها نشاطها وحيويتها على اختلاف المستويات الفكرية والمؤهلات الذهنية. عقيدة المرشد المعين وإن كانت أشعرية المنزع تستمد منطلقها من قضايا العقل لا يعني أنها مبنية على مغالطات فلسفية. كما لا يفوته أن يلمس على وجه الخصوص أن صفات الخالق التي يجب على العقل أن يعتقدها أنواع: نفسية وسلبية ومعان وأنها متفاوتة من حيث الاستدلال عليها، فمنها ما يستدل لها بالعقل وحده ومنها ما يستدل لها بالنقل وحده ومنها ما يستدل لها بالنقل والعقل معا. إن مسألة بعث الرسل تشكل الجزء الثاني للإيمان، وبه يكون قد أوصل للإيمان طرفي حلقة أحداها العلم بالله وبرسله، وثانيها الاشتغال بذكر الكلمة المشرفة التي تدل على هذه الصفات بذلك تتحقق الاستقامة عند الشيخ رحمته الله التي مظهرها المزاجية بين مطالب النظر ومطالب العاطفة والذوق. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

المصادر والمراجع

- * جميل صليبا، المعجم الفلسفي، بيروت: دار الكتاب اللبناني، 1979م،
- * مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مصر: دار المعارف، 1972،
- * السنوسي، أبو عبد الله محمد بن يوسف، شرح العقيدة الوسطى، ط: 01، تونس: مطبعة التقدم الوطنية بدون تاريخ،
- * عليش محمد، القول الوافي السديد في شرح عقيدة التوحيد، بيروت: دار العلم للملايين، بدون تاريخ،
- * جمال الدين بوقلي حسن، الامام ابن يوسف السنوسي وعلم التوحيد، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1985م،

- * الدسوقي محمد، حاشية الدسوقي على شرح ام البراهين، مصر: المطبعة اليمينية 1382هـ.
- * الجويني، أبو المعالي، الشامل في أصول الدين، تح: علي سامي النشار، الإسكندرية: منشأة المعارف، 1969م.
- * البيجوري إبراهيم، حاشية البيجوري على متن السنوسية، ط: 01، مصر: مطبعة ابن شقرون، 1952م.
- * السنوسي بن يوسف، صغرى الصغرى مصر: المطبعة اليمينية، 1924م.
- * السنوسي عبد الله بن محمد بن يوسف، العقيدة الصغرى التي المعروفة بأمر البراهين ضمن مجموع مهمات المتون، لأحمد الطوخي مصر: مطبعة جامع الأزهر، 1299هـ.
- * محمود قاسم، مقدمة في نقد مدارس علم الكلام لكتاب مناهج الأدلة لابن رشد، مصر: مكتبة الأنجلو المصرية، 1944م.
- * ميارة، أحمد بن محمد الدر الثمين والمورد المعين شرح المرشد المعين، الدار البيضاء المغرب، دار المعرفة، بدون تاريخ.

